﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦﴾ [الحجرات: 16]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

هـذه الآيـةُ كالمقصودِ لِما قبلَها الَّتي هيَ كالتَّوْطئةِ لها

بعدما أخبرَ ﷻ عن صفاتِ المؤمنينَ الصّادقينَ المخلِصينَ؛ أمَرَ نبيَّهُ بتوبيخِ الأعرابِ الَّذينَ يدَّعونَ الإيمانَ[1]، وكانَ حقُّ هذا التَّوبيخِ أن يكونَ مِن بَعْدِ الرَّدِّ على قولِهم: ﴿ءَامَنَّاۖ﴾ بقوله تعالى: ﴿قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ إلى آخرِ الآيةِ؛ لأنَّه ترقٍّ في الرَّدِّ عليهم، ولكنَّه أخَّرَه؛ ليجيءَ مِن بَعْدِ التَّعريفِ بالمؤمنينَ الكاملينَ الصّادقينَ؛ ليكونَ الأعرابُ قد أبصَروا خطأَهُم، وتعرَّفوا على اللّه ربِّهم، وفقِهوا ما الإيمانُ؟ وما الصِّدْقُ فيهِ؟ حتَّى تتقبَّلَ نفوسُهم ذاتُ الطِّباعِ الغليظةِ هذا التَّوبيخَ والتَّعنيفَ في هذه الآيةِ: ﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَتُعَلِّمُونَ﴾: (علم) أصلٌ يدلُّ على أثرٍ بالشَّيءِ يتميَّزُ به عن غيره، ومِنْ ذلكَ يقالُ: علَّمتُ على الشَّيء علامةً[2]، والعلَمُ: علَمُ الثَّوبِ، والعلَمُ: الرّايةُ[3]، وسُمّيَ العالَمونَ بذلك؛ لأنّ كلَّ جنسٍ من الخلقِ فهو في نفسه مَعْلَمٌ وعلَمٌ[4]، والعِلمُ: نقيضُ الجهلِ[5]، والعِلمُ: إدراكُ الشَّيءِ بحقيقته، وأخذُ علَمه[6]، وذلك نوعانِ: أحدُهما:

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 154، والنيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 6/ 170، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 390.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (علم).
(3) الجوهري، الصحاح: (علم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (علم).
(5) الخليل، العين: (علم).
(6) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (علم).

إدراكُ ذاتِ الشَّيءِ، والثّاني: الحكمُ على الشَّيءِ بوجودِ شيءٍ هو موجودٌ لهُ، أو بنفي شيءٍ هو منفيٌّ عنه، فالأوَّل هو المتعدي إلى مفعولٍ واحد، نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60]، والثاني: المتعدّي إلى مفعولين، نحو قوله ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾: [الممتحنة: 10]، والتَّعليمُ: إفادةُ العلمِ على التَّدريجِ والمعالجةِ[1].

2) ﴿بِدِينِكُمْ﴾: (دين) أصلٌ يدلُّ على الانقيادِ والذُّلِّ، ومِنْ ذلكَ يقالُ: دانَ لهُ يَدينُ دَيْنًا، إذا انقادَ وأطاعَ[2]، والدّينُ: الطّاعةُ، ويُطلَقُ على الجزاءِ[3]، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الواقعة: 86] أي: غيرَ مجزيّينَ، ويُطلق على الشَّريعةِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: 19]، وقال ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: 125]، أي: طاعةً، وقوله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: 256] أي: الطاعة؛ فإن ذلك لا يكون في الحقيقة إلا بالإخلاص، والإخلاصُ لا يتأتَّى فيه الإكراهُ[4]، والمرادُ بالدّين هنا: الطّاعةُ والمعتقَدُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يأمرُ اللّه تعالى نبيَّهُ أن يُخاطِبَ على سبيلِ التَّوبيخِ الأعرابَ مرَّةً أخرى، فيقول له: قل يا محمَّدُ لهؤلاء الأعراب القائلين: ﴿ءَامَنَّا﴾، ولمّا يدخلِ الإيمانُ في قلوبِهم: أتُخبِرونَ اللّه بدينِكم؟ والحالُ أنَّ اللّه علّامُ جميعِ ما في السَّمواتِ السَّبعِ، والأرضينَ السَّبعِ، لا يَخفَى عليهِ منهُ شيءٌ، واللّه عليمٌ بما كانَ، وما هو كائنٌ، وبما يكونُ[5].

لا يخفَى على اللّه تعالى شيءٌ

(1) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 6/ 170.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زجر).
(3) الخليل، العين: (دين).
(4) الراغب، المفردات: (دين).
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 319، والمراغي، تفسير المراغي: 26/ 147.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾:

المقولُ لهم: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ هم الأعرابُ الَّذينَ أُمِرَ أن يقولَ لهم: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾ إلى آخره، فأُعيدَ فِعْلُ القولِ؛ لمّا طالَ الفصلُ بينَ القولينِ بالجملِ المتتابعةِ، فهذا متَّصلٌ بقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ اتِّصالَ البيانِ بالمبيَّنِ، ولذلكَ لم تُعطَفْ جملةُ الاستفهامِ، وجملةُ ﴿قُلْ﴾ معترضةٌ بينَ الجملتينِ المبيِّنةِ والمبيَّنةِ[1]، وعلى هذا فآية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية، اعتراضٌ أيضًا، ويجوزُ أن تكونَ آيةُ: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ الآية، استئنافًا ابتدائيًّا، على جهةِ التَّرقّي في الرَّدِّ على الأعرابِ، ونقدِ ما كانَ منهم، فيكونَ الفَصْلُ لكمالِ الانقطاعِ بلا إيهام؛ لفقدانِ المناسبةِ الخاصَّةِ بينَ هذهِ الآيةِ والتي قبلَها، والمناسبةُ العامَّةُ حاصلةٌ ظاهرةٌ لا محالةَ.

الإنكارُ على الأعرابِ الَّذينَ لم يُخلِصوا في إيمانِهم

سرُّ إعادةِ فعلِ ﴿قُلْ﴾:

أُعيدَ الفعلُ: ﴿قُلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾؛ ليدلَّ على أنَّ المقولَ لهم هذا هم الأعرابُ الَّذينَ أُمِرَ أن يقولَ لهم: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾ إلى آخره[2]، وفي الإعادةِ تنبيهٌ على استقلالِ الكلامِ وأهمّيَّته، وأنَّهُ ليسَ تابعًا لغيره؛ احتفالًا بمضمونِه؛ لأنَّ فيه تعريفًا جديدًا باللهِ ﷻ، ماثلًا في الجملةِ الحاليَّةِ، وفيهِ كذلكَ إعادةُ تشريفٍ للنَّبيِّ ﷺ بالتَّكليفِ بالتَّبليغِ.

الاحتفالُ بالقائلِ والمقولِ والمقولِ لهُ

دلالةُ الأمرِ في ﴿قُلْ﴾:

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ للوجوبِ، فيفيدُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ مُكلَّفٌ بتبليغِهم هذا الكلامَ[3]، وإفادةُ وجوبِ

البلاغُ واجبٌ على النَّبيِّ ﷺ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 268.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 268.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 390.

القولِ بصيغة الأمرِ يَعني أنَّ تحقيقَه أمرٌ مطلوبٌ ومرغوبٌ فيهِ بشدَّةٍ، ففيه تهيئة نفسيَّةٌ لتلقّي ما يأتي في حيِّزِه.

غرضُ الاستفهامِ في ﴿أَتُعَلِّمُونَ﴾ الآية:

جهلُ مَن يظنُّ أنَّهُ يُعلِّمُ العليمَ ﷻ

الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ ليسَ على حقيقته، بل هو واردٌ على سبيلِ التَّجهيلِ للأعرابِ[1]، وتوبيخِهم[2]، وإنكارِ ما وقعَ منهم[3]؛ إذ ظنّوا أنَّهم بقولِهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ يُعلِّمونَ مَن لا تخفَى عليهِ خافيةٌ، وقد حاولوا إخفاءِ باطنهم عن المُطَّلِع على كلِّ شيء، فكان فيه توبيخُهُم وتعنيفُهم[4]، والاستفهامُ هنا معناهُ التَّنْبيهُ؛ لإيقاظهم مِن غفلتهم.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالتَّعليمِ في ﴿أَتُعَلِّمُونَ﴾:

إبـــرازُ الإخبـارِ بصورةِ التَّعليمِ المُنْكَرِ

قولُهُ تعالى: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ معناهُ: أتُخبِرونَهُ بقولِكم: ﴿ءَامَنَّا﴾[5]، وقد عُبِّرَ بالتَّعليم؛ لأنَّ الإخبارَ لازمٌ للتَّعليم، وفي استعمالِ التَّعليمِ مزيدُ توبيخٍ لهم، وفَرْطُ تشنيعٍ عليهم[6]، كأنَّهم لمّا آمنوا؛ كانَ ذلكَ إعلامًا منهم، فلمّا قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾؛ كانَ ذلكَ تكريرًا، فكانَ في صورةِ التَّعليم، فبكَّتَهم بذلكَ[7].

نكتةُ صيغةِ المضارعِ في ﴿أَتُعَلِّمُونَ﴾:

تعليمُ العليمِ سبحانَهُ محلَّ استغرابٍ وإنكارٍ

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾؛ لحكايةِ الحالِ الماضيةِ؛ إذ الظّاهرُ المُضيُّ بأن يقالَ: أعلَّمتم[8]، وفي هذهِ الحكايةِ تصويرٌ للتَّعليم، كأنَّهُ يقعُ الآنَ، والغرضُ مِن ذلكَ الحثُّ على استغرابه وإنكاره والتَّعجُّبِ منه.

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 378.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 154.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 152.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 269.
(5) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 359، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 124.
(6) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 152.
(7) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 391.
(8) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 152.

سرُّ صيغةِ التَّفعيلِ في ﴿أَتُعَلِّمُونَ﴾:

تكلُّفُ الأعْرابِ في الاستِدلالِ عَلَى خُلوصِ إيمانهم

التَّعليمُ في قوله ﷻ: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ مبالغةٌ في إيصالِ العلمِ إلى المعلَّمِ؛ لأنَّ صيغةَ التَّفعيلِ تقتضي قوَّةً في حصولِ الفعلِ، كالتَّفريقِ والتَّفسيرِ، يقالُ: أعلمَهُ وعلَّمَهُ، كما يُقالُ: أنبأَهُ، ونبَّأَهُ، وهذا يفيدُ أنَّهم تكلَّفوا، وتعسَّفوا في الاستدلالِ على خُلوصِ إيمانِهم؛ ليُقنِعوا بهِ الرَّسولَ ﷺ الَّذي أبلغَهم أنَّ اللّه نفَى عنهُم رُسوخَ الإيمانِ[1].

علَّةُ التَّعبيرِ باسمِ الجلالةِ:

التَّعبيرُ بما يزيدُ الإنكارَ والتَّوبيخَ

أوثرَ اسمُ الجلالةِ دونَ غيرِه مِنَ الأسماءِ الحُسنى في قوله ﷻ: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾؛ لزيادةِ الإنكارِ والتَّوبيخِ؛ إذ كيفَ يُعلَّمُ ذو العظمةِ والجلالِ المتَّصفُ بصفاتِ الكمالِ، ومنها العلمُ المحيطُ بكلِّ شيءٍ، والَّذي لا تخفَى عليهِ خافيةٌ[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالباءِ في ﴿بِدِينِكُمْ﴾:

احتمالُ التَّضمينِ والصِّلةِ

عُدِّيَ التَّعليمُ بالباءِ في قوله تعالى: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾؛ لأنَّهُ بمعنى الإعلامِ والإخبارِ، أو لتضمينه معنى الإحاطةِ أو الشُّعورِ، ففيهِ مبالغةٌ؛ لإجرائه مُجْرَى المحسوسِ[3]، ويَحْتملُ أن تكونَ الباءُ صلةً؛ لتأكيدِ لصوقِ الفعلِ بمفعولهِ[4] - والإلصاقُ معنًى لا يُفارقُ الباءَ - فتدلَّ على غايةِ تَشبُّثهم بدينهم وإيمانهم؛ فكانوا في غاية الاهتمامِ بالإقناعِ به.

غرضُ الإضافةِ في ﴿بِدِينِكُمْ﴾:

الدِّينُ الكاملُ عندَ اللهِ ما وافقَ فيهِ اللِّسانُ القلبَ

في إضافةِ الدِّينِ إلى الضَّميرِ الرّاجعِ إلى المخاطَبينَ في قوله تعالى ذكرُهُ: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ زيادةُ توبيخٍ لهم، ببيانِ أنَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 268.
(2) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 6/ 170، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 391.
(3) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 82، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 319.
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 152، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 268.

الدّينَ - الَّذي لا يوافقُ فيهِ القلبُ اللِّسانَ - دينٌ غيرُ مُعتبَرٍ عندَ اللّه تعالى؛ ولذلكَ أُضيفَ إليهم لا إلى اللّه سبحانَهُ، وذهبَ بعضُ المفسِّرينَ إلى أنَّ في الإضافة نوعَ بُشْرَى لهم؛ لأنَّ اللّه أوْجَد لهم دينًا، وأضافَه إليهم[1].

دلالةُ الواوِ في ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾:

فَـرْطُ شناعةِ مَن يُعلِّمُ اللهَ بدينه، وهو العليمُ سبحانَهُ

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ للحالِ، والجملةُ حالٌ مِن مفعولِ: ﴿أَتُعَلِّمُونَ﴾[2]، أي: أتُعلِّمونَ اللّه بدينِكم، والحالُ أنَّ اللّه يعلمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ[3]، والغرضُ مِن هذهِ الحالِ تأكيدُ تشنيعِهم، وتوبيخهم بالاستفهام، فهي تأييدٌ له[4].

نكتةُ التَّعبيرِ بالجملةِ الاسميَّةِ:

شمولُ العلمِ مِن صفاتِ الإلهِ الحقِّ

عُبِّرَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ شمولَ علمه تعالى لِما في السَّماواتِ وما في الأرضِ حقيقةٌ ثابتةٌ، لا تتبدَّلُ، ولا تتغيَّرُ؛ لأنَّ ذلكَ مِن صفاتِ الإلهِ الحقِّ.

سرُّ إظهارِ اسمِ الجلالةِ في موضعِ إضماره:

عِلمُ اللهِ الشّاملُ معروفٌ مُشْتَهَرٌ، فكيف يكون منهم تجاهلُ ذلكَ؟

الظّاهرُ أن يقالَ: (وهو يعلمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ)؛ لتقدُّمِ ذِكْرِ اسمِ الجلالةِ، لكن عُدِلَ عنهُ إلى إظهاره في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾؛ لزيادةِ تشنيعِهم بالتَّصريحِ باللَّفظِ الدّالِّ على صفاتِ العظمةِ والجلالِ، ولتأكيدِ استقلالِ الجملةِ بحيثُ تجري مجرى الأمثال.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 24.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 153.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 391.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 124، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/ 319.

غرضُ تقديمِ المسندِ إليهِ على المسندِ الفعليِّ:

التَّعريفُ بالله على جهة التَّوكيدِ

قُدِّمَ المسندُ إليهِ على المسندِ الفعليِّ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾؛ لإفادةِ الحَصرِ والقَصرِ؛ تعريفًا باللهِ سبحانه في سياقِ حثِّ الأعرابِ على تحقيقِ الإيمانِ الكاملِ، فاللهُ تعالى وحدَهُ الَّذي يعلمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ، ويجوز أن يكونَ القرآنُ نزَّلَ الأعرابَ - بسببِ التَّعليمِ المذكورِ في قوله: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ﴾ - منزلةَ مَن يشكُّ، أو يُنكر مضمونَ الجملةِ، فأكَّده القرآنُ في خطابِهم.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يَعۡلَمُ﴾:

متعلَّقاتُ علمِ اللهِ تعالى مستمرَّةٌ متجدِّدةٌ

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾؛ للدَّلالةِ على استمرارِ علمه تعالى بما في السَّماواتِ وما في الأرضِ وتجدُّده؛ وذلكَ باعتبارِ تجدُّدِ متعلَّقاتِ العلمِ، لا باعتبارِ ذاته؛ إذ علمُهُ تعالى لا يتجدَّدُ.

علَّةُ التَّعبيرِ بـ: ﴿مَا﴾:

أفرادُ عِلْمِ اللهِ لا تكادُ تتناهَى

عُبِّرَ بالاسمِ الموصولِ: ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾؛ لأنَّهُ من ألفاظِ العمومِ، ففيهِ تنبيهٌ على أنَّ علمَهُ ﷻ شاملٌ لجميعِ ما يدخلُ في حيِّزِ السَّماواتِ والأرضِ على كثرته وتنوُّعه[1]، ويؤيِّد هذا، ويُحقِّقُه ما في ﴿مَا﴾ من إبهامٍ وغموضٍ أشدَّ ممّا في (الذي)، ومَدِّ الألفِ فيها.

معنى ﴿فِي﴾ ودلالة التَّعبير بها:

أينَ يذهبُ المخلوقُ من عِلْمِ اللهِ؟

يدلُّ التَّعبيرُ بحرفِ الجرِّ الدّالِّ على الظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ على أنَّ السَّماواتِ والأرضَ محلٌّ لِما يستقرُّ فيهما من معلوماته تعالى، وهذا يَعني قوَّة هذا العِلْم وشدَّةَ شمولِه، وهذا إبرازٌ لكمال علمه تعالى وطلاقته وتمامِه.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 391، والشربيني، السراج المنير: 4/ 76.

دلالةُ العطفِ في ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾:

الانتقالُ مِنَ الأخصِّ إلى الأعمِّ في تقريرِ شمولِ علمِ الله

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ عاطفةٌ لِما بعدَها على جملة: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، والمعطوفُ على الحالِ حالٌ مِثلُه إعرابًا وحُكمًا، وهذه الجملةُ المعطوفةُ تذييلٌ مُقرِّرٌ ومُؤكِّدٌ لِما سبقَ مِن شمولِ علمه تعالى لجميعِ ما في السَّماواتِ، وجميعِ ما في الأرضِ؛ لأنَّ (كلّ شيءٍ) أعمُّ مِن: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[1]، وقد روعيَ التَّرقّي في التَّوبيخِ؛ إذ أخبرَ أوَّلًا بأنَّهُ يعلمُ ما في السَّماواتِ، وما في الأرضِ، ثمَّ ترقَّى، فقال: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾؛ سواءٌ كانَ معدومًا ممتنعًا، أو ممكنًا، أو موجودًا واجبًا، أو ممكنًا، موجودًا الآنَ، أو فيما سيأتي[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالجملةِ الاسميَّةِ ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾:

شُمولُ علمِ الله تعالى حقيقةٌ مقرَّرةٌ

جيءَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ سَعَةَ علمه تعالى، وشموله لكلِّ شيءٍ حقيقةٌ مقرَّرةٌ ثابتةٌ، لا تتغيَّرُ، ولا يتطرَّقُ إليها شكٌّ.

سرُّ إظهارِ اسمِ الجلالةِ وتكراره:

مَن عَظُمَت ذاتُهُ وصفاتُهُ؛ عَظُمَ علمُهُ

لمّا كانَ المقامُ للتَّعميمِ؛ أُظهِرَ اسمُ الجلالةِ، فقيلَ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾، ولم يُضمَرْ بأن يقالَ: (وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ)؛ لئلّا يوهمَ الاختصاصَ بما ذُكِرَ مِنَ الخَلْقِ، فقيلَ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾، أي: والَّذي لهُ الإحاطةُ الكاملةُ بكلِّ شيءٍ عليمٌ[3]، ولِما في الإظهارِ مِن تأكيدِ استقلالِ جملةِ التَّذييلِ؛ بحيثُ تجري مجرى الأمثالِ السّائرةِ.

معنى الباءِ، ودلالة التَّعبير بها في ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾:

الباءُ في قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ للتَّعديةِ، وهي

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 124، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 269.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 153.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 391، والشربيني، السراج المنير: 4/ 76.

كـونُ علـمِ الله تـعـالى متعلِّقًا بكـلِّ شيءٍ أمرٌ جِـــدُّ عـجـيـبٍ وغريبٍ

ومجرورها متعلِّقٌ بـ: ﴿عَلِيمٌ﴾، ومعنَى الإلصاقِ لا يكادُ يُفارِقُها، كأنَّها تُؤكِّدُ، وتُحقِّقُ تعلُّقَ كلِّ شيءٍ بعِلْمِه تعالى؛ لأنَّ العِلْمَ بكلِّ شيء غيرُ معهودٍ البتَّةَ، فلَمّا كانَ تقريرُ ذلكَ في سياقِ التَّعريفِ باللّه في خطابِ مَنِ ادَّعَى الإيمانَ، ولَمّا يدخل الإيمانُ في قلبِه؛ كانَ هذا التَّأكيدُ والتَّحقيقُ بالباءِ.

غرضُ تقديمِ ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾:

متعلَّقُ علمِ الله محلُّ العنايةِ

قُدِّمَ قولُه: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ على قولِه: ﴿عَلِيمٌ﴾، في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ للاهتمامِ بالمقدَّمِ الَّذي يتعلَّقُ بِهِ علمُ اللّه ﷻ، ووجهُ ذلكَ أنَّ المُقدَّمَ هو مناطُ أنَّ عِلمَهُ تعالى ليس كمثل علمِ غيرِه، وللمسارعةِ في إثباتِ هذا التَّعلُّقِ، ولِما في تأخيرِ: ﴿عَلِيمٌ﴾ من رِعايةِ تلاؤمِ الفواصلِ.

نكتةُ إضافةِ (كلّ) على ﴿شَيْءٍ﴾:

تـأكـيـدُ سَـعَـةِ الـعِـلْـمِ الإلـهـيِّ تأكيدًا بعدَ تأكيدٍ

إضافةُ (كلّ) إلى ﴿شَيْءٍ﴾ في قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ لتأكيدِ عمومِ كلمةِ ﴿شَيْءٍ﴾، وبيانِ شمولِها لِما ذُكِرَ، وما لم يُذكَرْ[1]، وهذا إبلاغٌ في تصويرِ حقيقةِ كمالِ علمه تعالى وتمامِه.

دلالةُ صيغةِ (فعيل) في ﴿عَلِيمٌ﴾:

صيغة المبالغة تكشف حقيقة علم الله تقريبًا

جيءَ بصيغةِ (فعيلٍ) في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ للمبالغةِ في اتِّصافه تعالى بالعلمِ[2]، أي: مُبالِغٌ في العِلْمِ بجميعِ الأشياءِ، الَّتي مِن جملتها ما أخْفَوه مِن الكُفْرِ عندَ إظهارِهم الإيمانَ، ففيه مزيدُ تجهيلٍ وتوبيخٍ لهم[3].

(1) الشربيني، السراج المنير: 4/ 76.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 153.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 186.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المِلَّةُ والدّينُ:

المِلَّةُ لا تُضافُ في الغالبِ إلّا إلى النَّبيِّ الَّذي تُسنَدُ إليه، نحوُ: ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [آل عمران: 95]، ولا تكادُ توجَدُ مُضافةً إلى اللّه، ولا إلى آحادِ أُمَّةِ النَّبيِّ، فلا يقالُ: مِلَّةُ اللّه، ولا يقالُ: مِلَّتي، ومِلَّةُ زيدٍ، ويقالُ: دينُ اللّه، ودينُ زيدٍ[1]، والمِلَّةُ لا تُستعمَلُ إلّا في جُملةِ الشَّرائعِ دونَ آحادِها، فلا يقالُ: الصَّلاةُ مِلَّةُ اللّه[2]، وقد عُبِّرَ هنا بالدّينِ؛ ليضافَ إلى غيرِ اللّه ﷻ، وهم المخاطَبونَ.

الـــدّيـــنُ هنا مضافٌ لغيرِ الله تعالى

(1) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (ملل).

(2) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، والزبيدي، تاج العروس: (ملل)، والرّاغب، المفردات: (ملل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"